

يوم الفاروق

لحضرة صاحب العزة الامتياز على الجارم بك

صفاورده عذبا، وطابت مناهله
واقبل مُنقاد العنان مُذَلَّلا
يُطأطيء للفاروق رأسا وتنحنى
تلفت في الآفاق شرقا ومغربا
رأى مارأى! لم يلق عزما كعزمه
يدوب مضاء السيف عند مضائه
إذا ما انتضاه فالسعود أعنة
رأى طلعة لو أن للبدر مثلها
عليها شعاع لو رمى حائل الدجى
تراها فتغضى للجلال ، وربما
هو الشمس، يدنو في الظهيرة ضوءها
هو الروض، أو أزهى من الروض نضرة
وجلّت يد الدهر الذي عز نائله
تطامن متناه ، ودانت صوائله
أمام سنا الملك المهيب كواهله
فلم ير في أنحائها من يُماثله
تقد مواضيه ، وتفري مناصله
فما هو إلا غمده وحمائله
إلى ما يرجى ، واليالي رواجه
لما انحدرت دون النجوم منازلها
لفاخر وجه الصبح في الحسن حائله
تشوّف لحظ العين لوجال جائله
ويصعب مرآها على من يحاوله
إذا داعبت وجه الربيع خمائله

هو الأملُ البسامُ ، رفَ جناحه
فطارَتْ بهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ بِلَابِه
هو الكوكبُ اللَّمَّاحُ ، يسطعُ بالمنى
وتنطقُ بالغيثِ العميمِ مخايله
ترى بَسْمَةَ الآمالِ في بَسَمَاتِهِ
وتلمحُ سرَّ النُّبْلِ حينَ تُقابله
شبابُه كما يصفوُ اللجينُ ، كأنما
تملأَ مِنْ مَاءِ الْفَرَادِيسِ ناهله
يُغْدِيهِ غصنُ الدُّوحِ رِيَّانَ ناضِرًا
إذا اهتزَّ في كَفِّ النَّسَامِ مائله
تطلُعُ رُوحُ الخَطِّ يبغي اعتداله
فَعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ ذَابِلُه
وَمِنْ أَيْنَ لِلرَّمَحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُه ؟
وَمِنْ أَيْنَ لِلرَّمَحِ الْمُثَقَّفِ عَزْمُه
إذا حفَرتَه الحَادِثَاتُ رَأَيْتَه
عَلَاةٌ تَحْدِي الذَّهَرَ فِي بُعْدِ شَاوِه
ورَأَى كَأَنْفَاسِ الصَّبَاحِ ، وَقَدْ بَدَا
وَخُلِقَ كَمُخْضَلِ النَّسِيمِ بَرُوضَةٍ
يَمَسُّ جِبِينَ النَّيْلِ فِي رَفَقِ عَاشِقٍ
ذَوَائِبُهُ نَفَاحَةٌ وَجَدَائِلُه
وَتَفْتَحُ أَكْمَامَ الزُّهُورِ مَسَاحِلُه

دَعَوْتُ إِلَيْكَ الشَّعْرَ فَأَنْقَادَ صَعْبُهُ
وَمَا كَدْتُ أَدْعُو الْوَحْيَ حَتَّى سَمِعْتُهُ
وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُشْمَسًا جَوَافِلُهُ
تَبَادَلَتْ أَيْاتُهُ وَرَسَائِلُهُ
خَيْبَالُهُ إِذَا أَرْسَلَتْهُ إِثْرَ نَافِرٍ
أَتَتْ بِأَعَزِّ الْآبِدَاتِ حَبَائِلُهُ

ولفظ كوجه الروض في ميمة الضحى
 إذا قلته ألقى عطار دُ سَمَّه
 وإن سارت الريح الهبوبُ بجرسه
 إذا ذكر الفاروق فاض معينه
 يقول، ومالي حين أكتب قوله
 رأى ملكاً يحيا القريض بوصفه
 رأى ملكاً يزهى به الدين والتقى
 رأى ملكاً كالنيل، أمّا عطاؤه
 ففرّد في الاجواء باسمك طيره
 وصاغت لك التبر المصنّى فنونه
 ولم يبق من نسج السحاب زهرة
 وصب شعاع الشمس تاج مهابة
 وفك رموز السحرم من أرض بابل
 أعدت له عهد الرشيد فأسرعت
 وما أنت في الأملاك إلا قصيدة
 يهب طريح الشعر في دولة النهى
 وقد صدحت فوق العصور عناده
 وساءل شمس الأفق من هو قائله
 فأخيراً كنف الوجود مراحل
 ونجّت قوافيه، وعبت حوافله
 من الفضل شيء غير أنى ناقله
 فضائله جلّت وعمّت فواضله
 شمائل أملاك السماء شمائله
 فغمّر، وأمّا المكرمات فساحله
 وردّد في الآفاق ذكرك هادله
 وحأكت لك البرد الموشى أنامله
 ترّف ندى إلا حوتها فواصله
 لمن توجّه بالفخار فضائله
 لأجلك حتى استنجدت بك بابله
 إلى سُدّة الفاروق تشدو بلابله
 تفاعلها البر الذي أنت فاعله
 وتلهم أسرار البيان مقاوله

حملتُ له الريحانَ يومَ زفافِهِ نضيرَ الحواشي، ينشرُ المسكَ خاضِلُهُ
أزاحِمُ للفاروقَ حشداً كأنه خِصَمٌ مِنَ الأمواجِ، ضاقتُ حَبائِلُهُ
يغطي أديمَ الأرضِ عَزَّ اختراقُهُ وسُدَّتْ على أقوى الرجالِ مداخلُهُ
إذا أنتَ لم تعرفِ مدى أخرياتِهِ فسَلْ طرفَكَ المحدودَ أينَ أوائلُهُ
حملتُ له الريحانَ، أرفعُ معصَمِي إلى الملكِ الفردِ الذي فازَ آمِلُهُ
وقد ملأ الأُنسُ الوجوهَ فأشرقَتْ من البشرِ، حتى كاد يقطرُ سائلُهُ

طلعتُ على الجمعِ الحفيلِ بموكبِ يبادلُك الشعبُ المنى، وتبادلُهُ
مواكبُ لم يُعرفْ لرمسيسَ مثلُها ولا خُطِرَتْ في مثلِهنَّ قنابلُهُ
يحيطُ بهَا عزُّ المليكِ ومَجْدُهُ وترحمُها فرسانُهُ وصواهلُهُ
إذا امتلكتُ الحبَّ النفوسَ هَفَفَتْ لَهُ سراعاً، وأعطتْ فوق ما هو سائلُهُ
رَأَوْكَ فَعَالُوا بِالْهَتَافِ كأنما ينافسُ نِدْءُ نِدْءِهِ ويساجلُهُ
كأنهمُ جيشُ الغنائمِ أَرَقَتْ رواعِدُهُ جَفَنَ الدجى وزواجه
فلا عينَ إلا وهى ترتقبُ المنى ولا صَدْرَ إلا فارحُ القلبِ جاذلُهُ
وقد رُفِعَتْ أعلامُ مصرَ خوافِقاً يغازلُها مَسُّ الصَّبَا وتغازلُهُ
فإن كانَ مِنْ عَيْنٍ، فإنَّكَ نورُها وإن كانَ مِنْ قَلْبٍ، فإنَّكَ آهلُهُ

وإن كان من دهرٍ فأنتَ نعيمه وإن كان من فضلٍ ، فإنَّكَ باذله

رأى فيكَ هذا الشعبُ آماله التي	تمنَّى على الأيام وهى تماطله
أحبَّكَ حتى صار حبُّكَ رُوحه	ونورَ أمانيه الذى لا يُزِيله
فمن شاءَ برهاناً على صادق الهوى	فتلكَ الجموعُ الزاخراتُ دلائله
نثرتَ بُذورَ الحبِّ فى كلِّ مُهْجَةٍ	وتلكَ التى تهفو إليك سَنَابله
حياتِكَ يا فاروقُ للدين عصمةُ	وأعمالك الغرُّ الجسامُ معاقله
منابرهُ تهتزُّ باسمك فوقها	وتلتفُّ من شوقٍ عليك محافله
تعفرُّ بالثُربِ الجبينَ الذى عنا	له الشرقُ وانتقادتُ إليه جحافله
لَهُ لَمَعَاتُ المِشْرِقى اَزْدَهَتْ به	على كلِّ أبناءِ النُعمودِ صِيَاقله
لياليك أعمارُ الزمانِ وسَعْدُهُ	وأيامكُ البيضُ الحِسانُ أصائله
قد اختاركَ الرحمنُ موضعَ فضله	إذا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُهُ

هنيئاً لك اليوم السعيد الذى زها	على الدهر لَمَّا لم يجد ما يشاكله
يذكُرُنَا المأمونَ يومَ زفافه	وقد مَشَتْ الدنيا إليه تَجَامِله
وَسَالَ به سيلُ النضارِ كأنما	تَفَجَّرَ من بين السحابِ وابله

وَأَيْنَ مِنَ الْمَأْمُونِ أَوْ مِنْ زِفَافِهِ جَلَالَةُ مُلْكٍ أَعْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهُ
أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى لِيَوْمِكَ ثَانِيًا يَقَارِبُهُ - فِي نُبْلِهِ أَوْ يَعَادِلُهُ

تَخَيَّرْتُ مِنْ وَادِي السَّكَنَانَةِ زَهْرَةً تَتِيهُ بِهَا جَنَّاتُهُ وَظِلَالُهُ
«فَرِيدَةً» مَجْدٍ، يَمُرُّ الْمَجْدُ قَدَرَهَا وَتُرْهِى بِهَا يَوْمَ الْفَخَارِ عَقَائِلُهُ
وَدُرَّةٌ حَذَرٍ أَقْسَمَ الْحَذَرُ أَنَّهُ عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلَقَ يَوْمًا سَدَائِلُهُ
يَتِيهِ بِهَا ضَاغِي الشَّبَابِ وَنَضْرُهُ وَتَسْمُو حَوَالِيهِ بِهَا ، وَعَوَاطِلُهُ
تَخَيَّرْتُهَا فَوْقَ السَّحَابِ مَكَانَةً وَأَضْفَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
جَبَاهَا إِلَهُ الْعَرْشِ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ خَلَّتْ أَيْادِيهِ ، وَعَمَّتْ جَلَائِلُهُ
فَعَشَى فِي رِفَاءٍ بِالْبَنِينَ مَمْتَعًا يُضِيءُ بِكَ الْوَادِي وَيَخْضَرُّ مَا حِلُهُ
وَدُمُ لَبْنِي مِصْرَ أُمَانًا وَرَحْمَةً فَأَنْتَ حَمِي النِّيلِ الْوَفِيُّ ، وَعَاهِلُهُ

على البحارم